الملخص :

يشير التماسك النصي في علم اللسانيات النصية إلى الانسجام والاتساق ، بين تلك العناصر المكونة للنص ، والتي نقصد بها الروابط (الشكلية والضمنية) ، وهذه الروابط في الوقت نفسه تشكل لنا تماسكًا قويًا للنص على المستويين : (السطحي و والعميق) ، والقرآن الكريم يشتمل على دراسة آليات التماسك بأنواعه المختلفة ،وهذه الأنواع قضايا جوهرية في مباحث اللسانيات النصية وتعتبر وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني .وسيقوم البحث بالكشف عن دور الضمير في تحقيق التماسك النصي في سورة الزمر متبعة في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية : الضمير ، التماسك النصي، الإحالة، سورة الزمر.

Abstract:

Textual coherence in textual linguistics refers to the harmony and correspondence between those constituent elements of a text, by which we mean the links (formal and implicit), at the same time, these connections form a strong cohesion for the text on both levels: (the superficial and the deep). The Glorious Qur'an includes the study of the mechanisms of cohesion in its various types, and these types are fundamental issues in the textual linguistics investigations and are considered an aspect of the Qur'anic miracle. This research paper will reveal the role of the pronoun in achieving the textual coherence in Surat Al-Zumar, following the descriptive analytical approach.

Key Words: Pronoun – Textual Coherence – Reference – Linguistics - Qur'anic miracles – Surat Al-Zumar

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فالتماسك خاصية جوهرية من خواص النص ، ويدور هذا المصطلح في الدراسات اللسانية النصية حول البنى السطحية والعميقة للنص من خلال الوقوف على العلاقات النحوية والمعجمية والدلالية ، ودور أدوات التماسك الرابطة لأجزاء النص ، والكشف عن وظيفتها في ايضاح المضامين ، ومن هذه الأدوات (الإحالة الضميرية) وهي موضوع بحثي ، فكان الهدف من هذا البحث التعرف على دور الإحالة الضميرية في الربط بين العناصر اللغوية سورة الزمر ، والكشف عن أهمية الضمير بمختلف انواعها في ترابط وتلاحم مفردات السورة واتساق تراكيبها اللغوية .

والقرآن الكريم أوضح نص تتجلى فيه مظاهر التماسك النصي ، فهو النص الإلهي المعجز في لفظه ونظمه و معناه ، والمعجز في تماسكه وانسجامه ، ولا شك في أن الباحث في لنص القرآني يتعامل معه على أنه وحدة واحدة مترابطة .

وجاء البحث بعنوان : (دور الضمير في التماسك النصي في سورة الزمر) .

أسباب اختياري لهذا الموضوع :

لقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع أسباب عدة، منها:

١- أن الدراسات النصية التطبيقية للنص القرآني تكشف عن طبيعة التماسك وخصوصيته .

٢- أنني لم أجد أحدًا من الباحثين- فيما أعلم – تناول دور الضمير في التماسك النصي في سورة الزمر .

٣- ما تزخر به سورة الزمر من كثرة الإحالة بالضمير في السورة مقارنة بأدوات الإحالة الأخرى .

٤- رغبتي في الخوض في مضمار لسانيات النص التطبيقي .

٥- خدمة كتاب الله تعالى بإضافة جهد متواضع إلى جهود من سبقني في دراسة إعجاز القرآن، ومحاولة الاقتراب من فهمه و بيان إعجازه .

أسئلة البحث :

١- ما مفهوم التماسك النصي ؟

٢- ما تعريف الإحالة، وما أنواعها ؟

٣- ما دور الضمير في التماسك النصي؟

أهمية الموضوع :

تسعى الدراسة لإبراز آليات التماسك النصي في سورة الزمر وخصوصيتها من خلال دور الضمير في السورة ، والكشف عن اتساق النظام اللغوي المتحقق ، والترابط الدلالي من خلال نصية السورة .

أهداف الموضوع :

الهدف من هذا البحث هو الكشف عن دور الإحالة الضميرية في الربط بين العناصر اللغوية في النص القرآني ، ومدى تحقق الفهم في سورة الزمر من خلال دور الضمير ، وأهمية الضمير ، بمختلف أنواعها ، في تلاحم مفردات سورة الزمر واتساق تراكيبها اللغوية ، مؤديةً إلى انسجامها الدلالي في السورة .

منهج البحث :

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي وهذا ما فرضته طبيعة الموضوع، إذ من خلاله استطيع وصف الظاهرة اللغوية ووسائلها المختلفة، وتحليلها، وهذا المنهج يسمح بتتبع عناصر البحث وضبط مفاهيمها ثم عرضها وتحليلها من خلال دراسة النص بوصفه كلاً متكاملاً ووحدة لا تتجزأ.

الدراسات السابقة :

- سورة الزمر : دراسة أسلوبية ، إعداد : وجدي " محمد درويش " سعيد قطب ، ٢٠١٩ م .وهي رسالة تتناول الأصوات والتراكيب النحوية والصور الفنية ولا تتقاطع مع بحثي فبحثي معني بدور الضمير في الربط.

- سورة الزمر ، دراسة بلاغية تحليلية ، إعداد / أسامة أحمد محمد الدسم ، ٢٠٠٥م.

الرسالة في تخصص البلاغة وهي بعيدة عن بحثي.

- سورة الزمر / تقسيم موضوعي، علم التفسير ، ميادة بنت كامل الماضي ، ٢٠٠٦م . (ملتقى أهل التفسير) . الرسالة في التفسير وليست في اللغة

- دور الضمير في تحقيق التماسك النصي في سورة الحج ، أستاذ : حمزة غازي عيسى ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية ، ٢٠١٨ م. الرسالة وإن كانت في دور الضمير في تحقيق التماسك النصي إلا أنها تطبيقية على سورة الحج ، وبحثي في سورة الزمر .

- الإحالة بالضمير ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني – دراسة وصفية تحليلية – نائل محمد أسماعيل ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسة العلوم الإنسانية ٢٠١١م ، المجلد ١٣، العدد ١ (B) . يهدف البحث إلى الكشف عن دور الضمير وخصوصًا ضمائر (الذات أو الشأن

والفصل) في صنع التماسك الدلالي للنص القرآني من خلال نماذج من القرآن وليس في سورة الزمر تحديدا.

ويقوم البحث على مقدمة وتمهيد، ومبحثين وخاتمة .

وتضمنت المقدمة أسباب اختيار الموضوع ، وأسئلة الدراسة ، وأهميتها، ومنهج السير فيها ، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد فقد جاء في ثلاثة مطالب : الأول: مفهوم التماسك النصي ،والثاني: دور الضمير في تحقيق التماسك النصي .والثالث : بين يدي السورة.

وجاء المبحث الأول بعنوان : تعريف الإحالة وأنواعها

واشتمل المبحث الثاني على: الإحالة بالضمير في سورة الزمر ودورها في التماسك النصي.

وذيل البحث بخاتمة تضمنت نتائجه، وقائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يوفقني في بحثي وفي خدمة القرآن الكريم.

التمهيد :

المطلب الأول: مفهوم التماسك النصي

مما لاشك فيه أن لسانيات النص تنظر للنص على أنه (بنية كلية) ، ولذلك لابد من تحليل النصوص حتى تبرز العناصر التي تؤدي إلى هذه البنية الكلية أو بمعنى آخر تماسك النص والنظر في ترابطها السطحي والعميق ، وهذا مما أدى بكثير من الباحثين المهتمين بالدراسات النصية إلى دراسة هذه العناصر المهمة في تماسك النصوص وترابطها ، والتي من أهمها:(الاتساق، والانسجام) ، فيرى باحثون أن التماسك النصي أهم عناصر النص لأنه : " المعتمد عليه في تحقق النصية من عدمه ، فهو يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة ، والجملة بالجمل الأخرى ، وبين جمل النص ، وفقراته ، وبين النصوص المكونة لكتاب كالقصائد المكونة لديوان شاعر، ويهتم بالعلاقة بين النصوص المكونة والسياق الخارجي " [١].

وإن كان هناك عدم اتفاق بين الباحثين على مصطلح واحد للتماسك النصي ؛ لاختلاف اللغات، وتعدد الثقافات ، "ويكمن هذا الاختلاف هو أن منهم من يشرك مفهوم التماسك مع مفهوم الاتساق فينقسم إلى (تماسك نحوي وآخر دلالي) كما عند بحيري ، ومنهم من يطلقون عليه لفظ الاتساق عند الخطابي ، والانسجام عند الازهر الزناد ، والربط النحوي (السبك أو الالتحام) عند تمام حسان "[٢]، والرأي الذي أميل له رأي الدكتور البحيري لأن التماسك في الحقيقة يجمع بين النوعين، وهما أهم معيارين من المعايير السبعة التي أقترحها (دي بو جراند) وهي : (السبك ، والحبك أو الالتحام ، والقصد ، والقبول ، ورعاية الموقف ، و التناص ، و الإعلامية)[٣] ، وكذلك أشار اليه هاليدي ورقية حسن إلى أن التماسك النصي " ليس مجرد خاصية ترتبط بالبنية السطحية للنص في مستوياتها النحوية / المعجمية فحسب ، بل هو علاقة دلالية مثل كل مكونات النظام الدلالي تنتج من خلال عمل نحوي معجمي بشكل واسع ، ويمثل إدراكًا تلقائيًا للخيارات الدلالية"[٤].

---

[١] التماسك النصي اللغوي في شعر الخنساء ، د. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح ، كلية الآداب والعلوم ، ليبيا ، الناشر: عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٥ م ، ص ١٩.

[٢] ينظر : (بحيري ، علم اللغة النص المفاهيم و الاتجاهات ص ١٢٢، محمد خطابي ، لسانيات النص ص ٥، الازهر الزناد ، نسيج النص ص ١٥،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، صبحي الفقي ،ج١ ، ص٣٣)

[٣] روبرت دي بو جراند ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط١، ١٩٩٨م ، عالم الكتب، القاهرة.، ص ١٠٣ .

[٤] ٣٩- هاليدي ورقية حسن، الاتساق في الإنجليزية، ي Cohesion in English- Halliday and Ruqaiya Hasan ، ص ٦.

ويتحقق التماسك النصي عبر أدوات متنوعة من أهمها : الإحالة ، الوصل ، الحذف ، الاستبدال ، التكرار .....) ، وتتم الإحالة بطرق متعددة أيضًا : منها : الضمير ، أسماء الإشارة ، أدوات المقارنة ، الموصولة) ، ويتناول هذا البحث الضمير الإحالية ، وبيان دورها في تحقيق التماسك النصي.

المطلب الثاني: دور الضمير في التماسك النصي

تعتبر الضمير أكثر وسائل الاتساق دوراً في الكلام، والأكثر استعمالاً، فلها أهمية كبيرة في تحقيق اتساق النص وانسجامه وتماسكه ؛ نظرًا لما للضمائر من دور محوري في بناء النص ؛ فلا تتحول الجمل المتتابعة إلى نص إلا إذا وجدت فيما بينها سلاسل الإضمار التي تشد بعضها إلى بعض. وعندما نتتبع دور الضمير في التماسك النصي يتصدر مبحث (الإحالة) في مراجع لسانيات النص ، والإحالة وسيلة من وسائل الربط المهمة للسبك، وهي تجمع بين عدة أنواع (كالضمير، أسماء الإشارة، اسم الموصول، المقارنة)، وهي من أهم المعايير التي تسهم في تحقيق النصية بشكل فعال، واعتبرها "دي بو جراند" من الأدوات المهمة حيث قال:" هي صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل"[٥]، والإحالة مصدر من الفعل" أحال"، وهو يدور في معاجم العربية، حول معاني التغيير والتحول، ونقل الشيء من حال إلى حال ، فيقال: أحال الرجل يحول، مثل : تحول من موضع إلى موضع، وحال الشيء نفسه يحول حولًا، بمعنيين : يكون تغييرًا ويكون تحولًا، والمحال من الكلام : ما عدل عن وجهه، وحوله جعله محالًا"[٦] ، وعرفها نائل إسماعيل بأنها: علاقة معنوية بين ألفاظ أو أسماء معينة، وما تشير إليه من مسميات أو أشياء – داخل النص أو خارجه – يدل عليها السياق أو المقام، عن طريق ألفاظ أو أدوات محددة – كالضمير واسم الإشارة واسم الموصول – و تشير إلى مواقف سابقة ولاحقة في النص)"[٧] . ومن أدوات الربط في الإحالة (الإحالة الضميرية) ، و "المضمر ما وضع لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم لفظًا أو معنى أو حكمًا، والغائب يحتاج إلى لفظ يفسره "[٨].

وتنقسم : إلى ضمائر (وجودية ، ملكية) وكلاهما ينقسم إلى متكلم و مخاطب و غائب:

وجودية مثل : أنا – نحن – أنتَ – أنتِ – أنتما– أنتن – هو – هم .....الخ.

ضمائر الملكية مثل : كتابي ، كتابك ، كتابهم ، كتابه ..... الخ .

وتعتبر (ضمائر الغائب) أكثر أهمية من (ضمائر المتكلم، والمخاطب) في دراسات التماسك النصي ، قال محمد خطابي معلقًا على ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن في هذا السياق : " أما الضمير التي تؤدي دورًا

---

[٥] دي بو جراند ، النص والخطاب والإجراء ، المرجع السابق ، ص ٢٩٩.

[٦] لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصري ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت، ط٣ ، ١٤١٤هـ . ص ١٨٦، ١٨٧ ج١١.

[٧] الإحالة بالضمير ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني ، نائل إسماعيل ، مجلة جامعة الأزهر بغزه ، سلسة العلوم الإنسانية ٢٠١١م ، المجلد(١٣) ، العدد (١) (B)، ص(١٠٦٤).

[٨] الرضي الأستراباذي ، شرح الكافية ،تح: حسن محمد الحفظي ، هجر للطباعة و النشر ،ط١، ١٩٦م ، ج١، ص ٩٩٥– ٩٩٧.

هامًا في اتساق النص فهي تلك التي يسميها المؤلفان : " أدوارًا أخرى " ، وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادًا و تثنية و جمعًا (هو ، هي ، هم ، هن ، هما) ... إذ يقوم بربط أجزاء النص و تصل بين أقسامه "[٩]، بمعنى أن ضمائر المتكلم والمخاطب قد تحيل إلى خارج النص " فضمير المتكلم والمخاطب بطبعهما لا يحيلان إلى مذكور سابق ، و يتطلب استعمالهما معرفة سابقة بالهوية بالنسبة لطرفي الاتصال " [١٠].

" وتجدر الإشارة هنا إلى ما تتميز به الضمير المتصلة من قوة الربط وتحقيق التماسك ، إذ إنها تتقدم في دورها على الضمير المنفصلة و المستترة ؛ فهي تعود غالبًا إلى مذكور في النص ، وقد تقترب المسافة بينها وبين المحال إليه أو تبتعد ، فتبقى كجسر رابط بين كل محيل ومحال إليه على امتداد النص ، وبذلك يتشكل للنص نسيجه والتحامه ، أما الضمير المنفصلة والمستترة فقد تحيل إلى خارج النص ، فتكون أقرب إلى الإحالات المقامية التي تفسَّر من خارج النص اعتمادًا على السياق ، خلافًا للضمائر المتصلة التي لا انفكاك لها عن الترابط مع مذكور أو مفهوم من النص ولعل من الضروري ي هذا المقام التأكيد على أن الضمير المقصودة هنا ليست ضمائر الغائب المنفصلة المذكورة آنفًا وحسب ، بل يشمل ذلك الغيبة في صورها كافة : منفصلة ، متصلة ، ومستترة ، مع التأكيد على أهمية دور ضمائر الغائب المتصلة ؛ لأن دورها في التماسك النصي واضح بإعادة كل واحدٍ منها إلى المفسِّر المحال عليه، هو ما يؤكد قيمة الإحالة التي " تحقق للنص التحامه وتماسكه ، وذلك بالوصل بين أواصر مقطع ما ، أو الوصل بين مختلف مقاطع النص " [١١].

والمتأمل للإحالة بالضمير يجد أنها أكثر الوسائل قوة في صنع التماسك الدلالي للنص القرآني، والأكثر قدرة على تحقيق التماسك والترابط تحقيق الوحدة الكلية (النصية) ، لأنها تربط بين مفهومي (الربط الرصفي (التركيبي) ، والربط المفهومي (الدلالي) أي بين اللفظي والمعنوي ، " فالضمير تعد العصب الرئيس السّاري في بناء النص ، فبها ومن خلالها يبتدئ تمسكه ، وبها ومن خلاله أيضًا يمكن تلقيه ، وبدونها يغدو النص مفككًا " [١٢].

---

[٩] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ط ١ ، ١٩٩١م ، المركز الثقافي العربي، (بيروت ، الحمراء) – (الدار البيضاء، الأحباس). ص ١٨ .

[١٠]) دي بو جراند ، ص ٣٣٣.

[١١] دور الضمير في تحقيق التماسك النصي في سورة الحج ، أستاذ : حمزة غازي عيسى ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية ، ٢٠١٨ م ، ص ٣٨٢. وينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، الصبيحي ، ص ٨٨ .

[١٢] النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، تأليف : د. محمد عبد الباسط عيد ، الناشر : مكتبة الآداب، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص ٢١٤.

المطلب الثالث: بين يدي سورة الزمر

أولاً: أسماؤها وفضلها :

" سميت بسورة الزمر لذكر لفظ الزمر فيها ، ولأن الله تكلم فيها عن تقسيم الناس إلى زمر أو جماعات وفرق يوم القيامة كلًا بعمله ،وقد ورد لفظ " الزمر " مرتين ، عند ذكر زمر أهل النار ، قال تعالى : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا) .سورة الزمر آية ٧١ " ، وعند ذكر زمر أهل الجنة ، قال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا) [١٣]. وسميت أيضًا بسورة " الغرف"، وهذا من قوله تعالى : (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) ،وقد " قال وهب : من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغرف " [١٤]وسميت أيضًا سورة (التنزيل) لقوله تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [١٥].

ورد في فضل سورة الزمر قول عائشة رضي الله عنها : " كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ سورة الزمر وبني إسرائيل " [١٦]، وهذا يدل على فضل سورة الزمر ، وعظم منزلتها ، وسور القرآن كلها عظيمة.

ثانيًا : موضوعاتها :

" سورة الزمر من السور المكية ، عدد آياتها (٧٥) خمس وسبعون آية ، فقبلها سورة (ص) ، وبعدها سورة غافر ،فهي سورة ذات مشاهد جليلة ، وموضوعات عقيدية ، ابتدأت السورة بتنزيل القرآن من رب العزة جل في علاه ، وانتهت بحمده على تلك النعمة ، قال تعالى (وقيل الحمد لله رب العالمين) ، وتخللها بيان أحوال الناس ، السعيد منهم والشقي ، ثم الحديث عن دلائل قدرة تعالى في الخلق والكون ، والترغيب في التوبة ، ورسم لوحة حية عن بعض مشاهد القيامة ، وهذه الموضوعات جعلت من السورة بستانًا فيه من اللطائف الشيء الكثير " [١٧].

---

[١٣] سورة الزمر : دراسة أسلوبية ، إعداد : وجدي " محمد درويش " سعيد قطب ، ص ٨-٩ ، ٢٠١٩ م .

[١٤] سورة الزمر ، دراسة بلاغية تحليلية ، إعداد / أسامة أحمد محمد الدسم ، ، ص ١١-١٢ .

[١٥] سورة الزمر : دراسة اسلوبية ، إعداد : وجدي " محمد درويش " ، سعيد قطب ، ص ٩.

[١٦] سنن الترمذي (الجامع الكبير) ، المؤلف : محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي ، تح: بشار عواد، الناشر : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٦ م ، ط١ ، المجلد٥ ، ص ٤١٠، رقم الحديث (٣٤٠٥) .

[١٧] سورة الزمر : دراسة أسلوبية ، إعداد : وجدي " محمد درويش " سعيد قطب ، ص ٣-٤ .

المبحث الأول: الإحالة ، تعريفها وأنواعها:

الإحالة لغة : الإحالة مصدر من الفعل" أحال"، وهو يدور في معاجم العربية، حول معاني التغيير والتحول ونقل الشيء من حال إلى حال ، فيقال: أحال الرجل يحول، مثل : تحول من موضع إلى موضع، وحال الشيء نفسه يحول حولًا، بمعنيين : يكون تغييرًا ويكون تحولًا، والمحال من الكلام : ما عدل عن وجهه، وحوله جعله محالًا " [١٨] .

الإحالة اصطلاحًا : يعرفها (دي بو جراند) بقوله: إنها العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات " [١٩]،ويطلق الأزهر الزناد " تسمية العناصر الإحالية" على قسم الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى من الخطاب؛ فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما و بين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر "[٢٠]، نجد الأزهر الزناد لم يذكر تعريفًا للإحالة حيث بدأ بذكر عناصرها.

أنواع الإحالة : الإحالة تنقسم إلى نوعين رئيسين: إحالة خارج النص(المقامية) – إحالة داخل النص(نصية)، حيث فرق الباحثون بين هذين النوعين:

-**إحالة خارج النص(المقامية):** يقصد بالإحالة الخارجية ذلك النوع الذي يوجه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي، حيث تسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام، وهذا النوع لا يمنح النص سمة التماسك ؛ لأنه لا يربط عنصرين معًا في السياق ، فلا بد في هذا النوع من الإحالة معرفة الأحداث، وسياق الحال، والمواقف التي تحيط بالنص أو الخطاب.

-**إحالة داخل النص(النصية):** للإحالة النصية دور مهم في ترابط جزئيات النص؛ لأنها تحيلنا إلى ملفوظ داخل النص فتساهم في اتساق النص وبالتالي تبعد تشتت النص، وفي هذا النوع من الإحالة لابد للمتلقي من العودة إلى عناصر المحال إليها، فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، وينقسم هذا النوع من الإحالة إلى قسمين [٢١]: **الإحالة القبلية:** هي إحالة إلى سابق أو إحالة بالعودة، وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة [٢٢]، **الإحالة البعدية:** أو الإحالة على لاحق ، وهي

---

[١٨] لسان العرب ، ابن منظور ، المرجع السابق ، ص ١٨٦، ١٨٧ ج١١، مادة (حول) .

[١٩] دي بو جراند : النص والخطاب والإجراء ، ص١٧٢.

[٢٠] الأزهر الزناد ، نسيج النص والخطاب و الإجراء ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨مص ١١٨ .

[٢١]) محمد خطابي ، المرجع السابق ، ص ١٧، ١٨ .

[٢٢] صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها فهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة "، بمعنى أنه يستمد تأويله من كلام يأتي بعده "[٢٣].

أنواع الإحالة :

– **(الإحالة الضميرية)** :"المضمر ما وضع لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم لفظًا أو معنى أو حكمًا، والغائب يحتاج إلى لفظ يفسره "[٢٤].وتنقسم من حيث إحالتها إلى ثلاثة أقسام : "ضمير المتكلم وضمير المخاطب وإحالتهما دائمًا خارجية ، أما ضمير الغائب إحالته داخلية وهو الذي يربط الكلام بعضه ببعض محققًا التماسك في النص ، ومن المهم في استخدام الضمير المطابقة بين الضمير ومرجعه "[٢٥]. **ومن الأمثلة على الإحالة الضميرية :** في الآية العاشرة: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) حسب ما نجد في ضمير جمع المخاطبين بعد النداء الموجه للجمع (قل يا عبادِ) والضمير بعدها في (اتقوا ربكم) ثم يختلف الكلام في بقية الآية ويخرج عن شكل المخاطبة المباشرة إلى المطلق بإرساء قاعدة عامة عن المجازاة في قوله تعالى : (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) ويأتي الضمير في آخر الآية حين يكون الحديث عن الصابرين في قوله تعالى (يوفى الصابرون أجرهم)، وهو ضمير جمع الغائبين ،. ليكون قد تحقق في هذه الآية نوعان من الضمير، جمع المخاطب وجمع الغائب، وكلاهما يعود على متقدم ورد في الآية نفسها، أي أنها ربط داخلي لجمل الآية.

– **(الإحالة الإشارية):** مفهوم لساني يجمع العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه ، من ذلك : " هنا ، أنا ، أنت ، هذا ، هذه " هذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه" [٢٦]، وهي من وسائل الاتساق الإحالية التي تقوم بالربط القبلي والبعدي، غير أن الغالب عليها هو الربط القبلي. **ومن الأمثلة على الإحالة الإشارية :** اسم الإشارة هذا في

---

[٢٣] الاتساق والانسجام في القران الكريم سورة الكهف انموذجًا ، إشراف الاستاذ : سالم زهية . ص ١٠

[٢٤] الرضي الأستراباذي ، شرح الكافية ،تح: حسن محمد الحفظي ، هجر للطباعة و النشر ،ط١، ١٩٦م ، ج١، ص ٩٩٥– ٩٩٧.

[٢٥] الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسه ، محمد محمد يونس علي ، جامعة الشارقة ، مجلة الدراسات اللغوية ، مجلد ٦ ، عدد١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٧٢.

[٢٦] الأزهر الزناد ، نسيج النص " بحث ما يكون به الملفوظ نصًا " ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص ١١٦.

الآية السابعة والعشرين في قوله تعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)، فالمشار إليه هنا أو مرجعية اسم الإشارة مذكور لاحقًا عليه، وهو بدل. ونلاحظ أن الارتباط هنا يكون داخليًا أي خاصًا بالجملة ذاتها، فاسم الإشارة هنا ربط بين شيئين فقط أو تعبيرين، ربط بين القرآن وحال حضوره، والإشارة لا تدل في مثل هذه الحال إلا على الحضور ومن ثم جاء بالإشارة إليه، أي التحقق وقوة الحضور. أي القرآن الذي أمامكم وترونه الآن. أو هذه الدنيا المتحققة وتعيشونها، أي الحضور الطاغي للمشار إليه فجاء عبر التعبير عنه بذاته والتعبير عنه باسم الإشارة أيضًا .

– **(الإحالة الموصولة)** : الأسماء الموصولة من أدوات الاتساق الإحالية لا تحمل دلالة مستقلة، ولكنها تشاركها في عملية التعويض ، فهي تأتي تعويضًا عما تحيل إليه ، وهي أيضًا تقوم بالربط الاتساقي حيث ترتبط بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع رابطًا بين ما قبل " الذي " وما بعده[٢٧]. **ومن الأمثلة عليها قوله تعالى:**(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). الزمر:(٢٣). فقوله يهدي به من يشاء إحالة نصية سابقة للاسم الموصول غير المختص(من) وجملة صلته(يشاء) وقد قوِيَ بها المعنى وتماسكت بنيته. ومثله أيضًا قوله تعالى: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ). الزمر(٣٤). حيث يشير الاسم الموصول (ما) إلى إحالة نصية سابقة على ما سبق(لهم). وقد أدى هذا إلى تماسك النص وتلاحمه، وبه قوي المعنى، وازداد تماسكًا.

– **(الإحالة المقارنة)** : تتسم المقارنة في ترابط النص فهي تؤدي وظيفة اتساقية، وتقوم على طرفين يقوي أحدهما الآخر؛ إذ إنها تقوي المقارن بالمقارن به فتعمل على كسر القيد الدلالي عن المشبه، وفتحه على احتمالات الدلالة التي يقدمها المشبه به، وهي نوع من الإحالة يتم باستعمال عناصر عامة مثل التطابق والتشابه والاختلاف، أو عناصر خاصة مثل الكمية والكيفية، فهي من منظور الاتساق لا تختلف عن الضمير و أسماء الإشارة في كونها نصية ؛ فهي تقوم بوظيفة اتساقيه تماسكيه مثل بقية الأدوات. **ومن الأمثلة على الإحالة المقارنة:** أن الآيات من ٢٥ إلى ٢٩ تتناول مقارنة جلية بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فقد عقد المولى عز وجل مقارنة بين فريقين من البشر: فريق كذب آيات الله، فحق عليهم العذاب، وفريق آمن بها وأسلم وجهه لله تعالى، فالذي كذب بآيات الله تعالى له من العذاب نصيب في الدنيا ونصيب في الآخرة، ولكن عذاب الآخرة أكبر وأشد، ولكنهم لا يعلمون. وقد ربطت كلمة أكبر (التي هي لفظ من ألفاظ المقارنة)

---

[٢٧] ظاهرة الإحالة في محاورة "عن العناية الإلهية لسينيكا ، دراسة تطبيقية في ضوء علم اللغة النصي ، المؤلف/ مروة عبدالله ، مصر ، المجلد ٣١، العدد ١ ، ٢٠١٤م ، ص ١٤٦،

الجملة الثانية بالأولى؛ لأنّه لا يكون الشيء أكبر إلا بالموازنة بشيء آخر، ولا يعرف ذلك الشيء الآخر إلا بالرجوع إلى ما سبق في الآية، ومن هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض، وعدم استغناء أحدها عن الآخر . ومن ثم كان قول الله تعالى :(فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٢٩)) ؛ فالأداة المستخدمة هي أكبر، وأكثر، وعدم الاستواء.

المبحث الثاني : دور الضمير في التماسك النصي في سورة الزمر:

أول علاقات الربط الظاهرة في السورة هي الإسناد، والإسناد هو رابطة معنوية بين أجزاء الجملة، وسبيل معرفته هو الامتزاج الشديد بين الطرفين، وقد أشار إليه بعض العلماء، قال سيبويه متحدثًا عن المسند والمسند إليه: هما(ما لا يغني واحد منهما عن الآخر)، وقال عنه ابن يعيش: (هو أن تركب كلمة مع كلمة تنسب أحدهما إلى الأخرى)[٢٨]. حيث أسند فعل التنزيل إلى الله عز وجل (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)، فيتضح في الآية الأولى أن الكلام يتركز على معنى التنزيل والتأكيد على المصدر وهو أنه من الله العزيز الحكيم، فالارتباط داخل الآية الأولى يتحقق عن طريق الإسناد، وذلك على الإعراب بأن تنزيل مبتدأ وشبه الجملة من الله خبر، والعزيز الحكيم نعتان، على حد إعراب محي الدين الدرويش [٢٩]، لكن الارتباط بين الآيتين الأولى والثانية فإنه يأخذ صورة الجملة الاسمية، (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ)، وهي مستأنفة (إنا) إن التوكيدية واسمها، الجملة الفعلية أنزلنا عليك الكتاب، خبر إنّ، إليك متعلق بفعل التنزيل وهي هنا أداة ربط داخلية للآية لأنها ربطت بين ضمير المخطاب وضمير المتكلمين/ الجمع للتعظيم السابق عليه في (إنَّا). ثم يتكرر الضمير مرة أخرى وهي إحالة بالضمير، في قوله (فاعبد الله مخلصًا له الدين) أي ضمير المخاطب هنا في جملة الأمر هو رابط بين بقية الآية ويجعل هذا المخاطب شبه ثابت في بقية السورة وكأن الخطاب كله متوجه إليه. أي أن الربط عبر الضمير يتحقق في (أنزلنا إليك) (فاعبد). فهي نفسها تقريبًا ما يصنع تماسكًا ويجعل الآية مرتبطة بخطاب للذات المخاطبة نفسها. وبالطبع يمكن أن تكون هناك ذات مخاطبة أخرى في الضمير المقدر في مخلصًا أي مخلصًا أنت، هذا الحال يعود على المخاطب ومرتبط به. أي أن تكون هذه العبادة أو فعل الأمر بالعبادة في حال الإخلاص (مخلصًا). فنلاحظ هنا أن الإسناد والضمير قد أديا دور الربط والإحالة اللتين يصنعان الانسجام والتماسك.

" قال الطبري : وقوله تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب . يعني بالكتاب القرآن ب(الحق)،" [٣٠] ففي الآية إحالة خارجية تفهم من السياق فالمقصود بالكتاب هو القرآن الكريم والذي يدل عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم ، أما عند ابن عطيه في كتابه المحرر الوجيز قال : " قال المفسرون : هو القرآن ويظهر

---

[٢٨] ليث داود، الربط ودلالته في القرآن، رسالة علمية ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠١م ، ص ١٦.

[٢٩] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، المجلد الثامن، دار الإرشاد، حمص، سوريا، ط٣، ١٩٩٢م، ص٣٨٧

[٣٠] تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تح : عبدالله عبد المحسن التركي ، ج٢٠، هجر للطباعة و التوزيع و الاعلان ، ط١ ، القاهرة ٢٠٠١ م ، ص١٥٤.

إلي أنه اسم عام لجميع ما تنزل من عند الله من الكتب ، فإنه أخبر إخبارًا مجردًا الكتب الهادية الشارعة إنما تنزيلها من الله ، وجعل هذا الإخبار تقدمه و توطئة لقوله تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب) " [٣١] .

في الآية الثالثة (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) نجد أنها آية طويلة تبدأ باستفتاح عبر (ألا) وهي حرف للاستفتاح تبدأ بعدها جملة اسمية يقدم فيها الخبر على المبتدأ للتوكيد، لله الدين الخالصُ، لأن البداية بالجار والمجرور تؤكد على أهمية هذه النسب أو الإضافة التي يقوم بها الجار والمجرور (لله)، ثم يأتي المبتدأ ويتبعه النعت في (الدين الخالص) وهي جملة تبدأ بها الآية ترتبط بالعطف مع الجملة التالية التي تبدأ بقوله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه..) ترتبط داخليًا وترتبط مع الجملة الأولى في الآية ليس بأدوات الربط التقليدي أو النحوي غير العطف الظاهر في الواو. على أن الاسم الموصول هنا هو المبتدأ لأن الجملة بعد واو العطف استئنافية ستقول شيئًا جديدًا عن هؤلاء المشركين أو الذين اتخذوا من دونه أولياء. وجملة الصلة الفعلية (اتخذوا من دونه أولياء) ليس لها محل من الإعراب والصلة هي ربط بذاته أو ربط حتمي، لأن الصلة والموصول وحدتان متلازمتان، أي أن هذا كله مبتدأ مركب ومرتبط (والذين اتخذوا من دونه أولياء) كلها بمثابة وحدة لغوية واحدة هي مبتدأ لكنه تفصيلي بدلًا من قول المشركين تأتي بتحديد أي باتخاذ أولياء من دون الله، و (أولياء) يعني الأصنام [٣٢] . وجملة (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) مرتبطة بهذا المبتدأ على نحو تقديري لأنها مقول تفسيري على لسانهم، " أي ما نعبدهم إلا للقربة " [٣٣] ، أما الخبر فلم يأتِ بعد، ويتحقق في قوله تعالى : (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) فهذه الجملة الاسمية هي خبر ويربطها بالمبتدأ ضمير الغائب المتكرر؛ هم في (بينهم) و(هُم) وأيضًا الجمع في (مختلفون). أي يتحقق الربط وذكر هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء عبر ثلاث علامات لغوية أهمها الضميران في (بينهم) و(هم).

---

[٣١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، أبو محمد ، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي ، تح : الرحالة الفاروق ، عبدالله إبرهيم الأنصاري ، السيد عبد العال ، محمد الشافعي الصادق ، وزارة االأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر ، مطابع دار الخير ، ط٢ ، ٢٠٠٧م ، ج ٢٣، ص ٣٦٩.

[٣٢] تفسير البغوي " معالم التنزيل " ، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين البغوي ، تحقيق وخرج أحاديثه " محمد النمر ، عثمان جمعه ، سليم الحرش " ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المجلد ٧ ، ١٤٠٩هـ .

[٣٣] البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج٣ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ص ١٩٦ .

والضمير في (بينهم) عائد لهم و إلى المسلمين، ، والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين [٣٤] ، " ويجوز أن يكون الضمير في (بينهم) لهم ولمعبوداتهم فإنهم ليس منهم معبود صامت ولا ناطق إلا وهو صارخ بلسان حاله إن لم ينطق لسان قاله بأنه مقهور مربوب عابد لا معبود ، فهم مع من يعبدهم في غابة الخلاف " [٣٥] ، "أي عند حشر معبوداتهم معهم ،فيقرون كلا منهم من يتولاه ، من عابد ومعبود . ويدخل المبطل النار مع المبطلين ، كما يدخل المحقق الجنة"[٣٦] ، أما الضمير في (نعبدهم) راجع إلى الأشياء التي كانوا يعبدونها ، من الملائكة ، وعيسى ، والاصنام ، وهم : المرادون بالأولياء [٣٧].

لاحظت أن الربط عبر الضمير تحقق في الآيتين الأوليين وكان الضمير للمخاطب، وجاء الضمير في الآية الثالثة وجملها الكثيرة عن طريق ضمير الغائب الذي يتحدث عن الذين اتخذوا من دونه أولياء أي الذين لم يخلصوا الدين لله " وهؤلاء هم الذين بنيت سورة ص على ذكرهم " وهو الموضوع الأساسي والبارز الذي تركز عليه بداية السورة. في الآيتين الرابعة لاحظت أن الربط عبر الضمير تحقق في الآيتين الأوليين وكان الضمير للمخاطب، وجاء الضمير في الآية الثالثة وجملها الكثيرة عن طريق ضمير الغائب الذي يتحدث عن الذين اتخذوا من دونه أولياء أي الذين لم يخلصوا الدين لله " وهؤلاء هم الذين بنيت سورة ص على ذكرهم " [٣٨]، وهو الموضوع الأساسي والبارز الذي تركز عليه بداية السورة. في الآيتين الرابعة والخامسة(لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) هناك دور ربط للضمائر أيضًا وهو ضمير الغائب المفرد الذي يعود على الله،

---

[٣٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري ، تح : الشيخان : عادل أحمد و علي معوض ، ج٥ ، ط١ ، ١٩٩٨ م . الناشر مكتبة العبيكان ، ص ٢٨٧.

[٣٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ج ٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ٤١٧.

[٣٦] تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، تأليف : محمد جمال الدين القاسمي ، علق عليه :محمد فؤاد عبد الباقي ،ط١ ، ١٩٥٧م.

[٣٧] فتح القدير الجامع بين الرواية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اعتنى به وراجعه : يوسف الغوش ، دار المعرفة ،بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧ م ، ص ١٢٧٤.

[٣٨] البرهان في تناسب سور القرآن ، للإمام الحافظ / أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي ، تح : د/ سعيد جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ص ١٥٥.

فالخطاب القرآني هنا يتحدث عن الذات الإلهية في حال أراد الله عز وجل أن يتخذ ولدًا أو شريكًا. فنجد أن الإسناد كله يعود على الله أي الفاعل في الجملة الفعلية المشروطة ب(لو) في قوله (لو أراد الله) لأن الفعل التالي (أن يتخذ) يعود على الله، وكذلك لاصطفى وهو جواب الشرط في لو مثله الأفعال (خلق السماوات) (يكور الليل) و(يكور النهار)، و(سخر الشمس والقمر) وهي مقدرة بفاعل تقديره (هو) يعود على الله في أول الآية الكريمة، ثم يظهر الضمير صريحًا في آخر الآية في جملة (ألا هو العزيز الغفار) التي تكون بمثابة إجمال بعد تفصيل. فهذه الضمير المرتبطة بالأفعال (يتخذ) (لاصطفى) (يكور الليل) (يكور النهار) (سخر الشمس) كلها تتصل تعود على الله في (لو أراد الله) عبر ضمير الغائب المقدر (هو) في كل هذه الأفعال، ويأتي ضمير الغائب العائد على الله عز وجل صريحًا في موضعين في نهاية الآيتين الرابعة والخامسة في" قوله تعالى : (هو الله الواحد القهار) في ذاته وأسمائه وأفعاله والقهار الذي قهر كل شيء وغلبه ، وخضعت جميع المخلوقات لتدبيره وأمره، وقوله تعالى : (ألا هو العزيز الغفار)الذي يمنعه شيء من فعل ما يريد في كونه ، القادر على الانتقام ممن أشرك به وعصاه وع ذلك سبحانه فهو غفار لكل من تاب إليه وطلب رضاه " [٣٩] ، كما قال تعالى : (وإني لغفار لمن تاب و آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) طه ٨٢، فتمثل الآيتان (هو الله الواحد القهار) (ألا هو العزيز الغفار) وحدة مترابطة عبر نسق واحد من الضمير الذي يجعل الحديث كله فيهما عن الله سبحانه وتعالى في حال أراد عز وجل أن يتخذ ولدًا أو شريكًا.

ويظل هذا النسق من الربط بالضمير نفسه ممتدًا في الآية السادسة من السورة (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)، حيث الفعل في الجملة الفعلية (خلقكم من نفسٍ واحدة) فاعله ضمير مقدر بـ(هو) يعود على الله عز وجل، " يقول الطبري في قوله تعالى : (خلقكم) أيها الناس ، (من نفس وحدة) يعني : من آدم ، (ثم جعل منها زوجها) يقول : ثم جعل من آدم زوجه حواء " [٤٠] ، ومثله الجملة الفعلية في (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) والجملة الفعلية التالية عليها (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا) فيظل الكلام ممتدًا عن آيات الله وعطائه أو يصبح الكلام في كل ما سبق من ابتداء من الآية الرابعة منسوبًا لله. ثم يأتي اسم الإشارة في النهاية ليعود على كل ما تقدم من الاسم (لفظ الجلالة الله) وكل الضمير التي عادت عليه، وذلك في قوله عز وجل، (ذلكم ربكم) ويعمل الضمير الربط في داخل

---

[٣٩] تفسير سورة الزمر ، رامي حنفي محمود، ط١ ، ٢٠١٩ م ، ص ٣.

[٤٠] تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، ص١٦١.

الآية رقم ٦ لربط كلمة (زوجها) بـ(نفس واحدة) التي تقدمت في أول الآية. فهنا كافة الأفعال ترتبط بفاعل واحد ممتد يربطها جميعًا الضمير (هو) المقدر للمفرد الغائب، ويظهر الضمير في نهاية الآية في قوله تعالى : (لا إله إلا هو فأنَّى تُصرفون). فهنا نجد الضمير الذي يربط عددًا كبيرًا من الجملة ببعضها هذه الجملة موجودة في أكثر من آية متتابعة من الآية رقم ٤ وحتى الآية رقم ٦ وكلها جمل تسير في سياق واحد وهو أن الله لو كان يريد أن يتخذ ولدًا لاصطفى وأن الله منح البشر معجزات وعطايا هي كذا وكذا إلخ. وتنتهي الآية السادسة بسؤال له أهميته في الربط نأتي إليه في موضعه (فأنى تصرفون) ، " قال الشيخ السعدي في معنى الآية : بعد هذا البيان ، ببيان استحقاقه تعالى الإخلاص وحده ، إلى عبادة الأوثان التي لا تدبر شيئًا ، وليس لها من الأمر شيء!! [٤١].

ابتداء من الآية السابعة يبدأ كلام جديد مؤسس على الشرط في قوله تعالى (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ولكننا هنا نبحث عن الربط بالضمير أو الإحالة عبر الضمير، فنجد أن الضمير الأول وهو واو الجمع للمخاطبين في قوله (إن تكفروا) وهي عائدة على من يتوجه إليهم الكلام القرآني من البداية سواء كانوا البشرية كلها أو جماعة المؤمنين يقول الإمام البغوي في معنى هذه الآية : " لا يرضى لعباده أن يكفروا به ، يروى ذلك عن قتادة ، وهو قول السلف ، قالوا : كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل ، وإن كان بإرادته"[٤٢]، ويعود على هذا الضمير التأسيسي " الجمع للمخاطبين " في الآية الضمير ذاته في قوله (غني عنكم) جمع المخاطبين في (كم) ومثله الواو في (تشكروا) و(كم) في قوله تعالى (يرضه لكم) و (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، حيث تكررت ثلاث مرات (كم) وجاءت الميم في (كنتم) وهي دالة على الجمع المخاطبين أيضًا، وإذا استخدمت بعدها أنتم المنفصلة تكون للتوكيد كما يأتي في مواضع أخرى من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) سورة الأنبياء الآية ٥٤. فنجد أن ضمير (كم) جمع المخاطبين هو الأكثر حضورًا وامتدادًا وفاعلية في الربط بين هذه الجمل الكثيرة في الآية رقم ٧ وهي من الآيات الطويلة في سورة الزمر لأنها تركبت من أكثر من جملة، قال الزجاج في تفسير الآية : وقد أخرج ابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن البيهقي في الأسماء و الصفات عن ابن العباس في قوله : (وإن تكفروا فإن

---

[٤١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير آيات القرآن ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، ط١، ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المجلد ٧ ، ص ١٥٠٩.

[٤٢] تفسير البغوي " معالم التنزيل " ، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين البغوي ، ص ١٠٩.

الله غني عنكم) يعني : الكفار الذي لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، فيقولون لا إله إلا الله ، ثم قال : (ولا يرضى لعباده الكفر) وهم عباده المخلصون الذين قال : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) الحجر ٤٢، "[٤٣] ، ويأتي في آخر الآية الضمير المعتاد والسابق في الآيات الأخرى ويرتبط بأول الآية حيث الضمير الهاء للمفرد الغائب في قوله تعالى : (إنه عليم بذات الصدور) يرتبط بالضمير المقدر (هو) في (خلقكم) أو بلفظ الجلالة في أي من الآيات السابقة.

في الآية الثامنة (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) يبدأ الكلام ويتأسس مسندًا إلى الإنسان في قوله تعالى: (إذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ) فهنا الإحالة والإسناد وأساس الحديث القرآني عن الإنسان في حال ضعفه وقدر احتياجه إلى الله وفيها امتداد للكلام عن معجزات الله وعطاياه للإنسان في الآيات السابقة وهو ما نشير إليه في الجزء الخاص بالدلالة بالتفسير والتعليل أو الارتباط المنطقي والربط بالدليل والعلة. ما نشير إليه هنا أن الكلام عن الإنسان ولذلك سنجد أن الضمير الخاص بالمفرد الغائب الذي يأتي بعد ذلك يعود على الإنسان في قوله (دعا ربه) فهنا ضمير مقدر في الفعل (دعا) وهو الفاعل في الجملة، ويظهر ضمير المفرد الغائب في أكثر من موضع بعد ذلك في (ربه) و(خوله نعمةً) والضمير المقدر الغائب في الفعل (نسيَ ما كان يدعو إليه) وكذلك الفعل (جعل لله أندادًا) فهذه الضمير المقدرة للمفرد الغائب أو المفرد الظاهر (الهاء) تعود على الإنسان، ما عدا ضميرين اثنين يعودان على لفظ الجلالة عز وجل وهو الذي في قوله (منيبًا إليه) لأن الهاء هنا تعود على الله وكذلك الهاء في قوله (ضل عن سبيله)، إي منيبًا إلى الله وعائداً إليه، وضل عن سبيل الله إذا خوله نعمةً، ثم يتحول الضمير للغائب الذي يعود على الإنسان في أول الآية ليكون هنا التفات ويتحدث معه القرآن بصيغة المخاطب في قوله تعالى : (قل تمتع) لنتحول من الضمير هو أو الهاء التي للغائب المفرد إلى أنت المقدرة أو المفرد المخاطب الذي هو للإنسان أيضًا، وهي دالة على المواجهة أو استحضار الإنسان ومخاطبته في حال الحضور هذه المرة ليواجه بكفره في قول الله عز وجل : (قل تمتع بكفرك) أي أن الالتفات لا يغير كثيرًا في مصير الضمير لأنه في الأساس يعود على الإنسان فيكون آخر الآية والالتفات فيها وهي السمة البلاغية لم تقلل أو تغير من الارتباط الممتد عبر الضمير من أول الآية الثامنة، ويصبح ضمير المفرد المخاطب هو الثابت في الجملتين الأخيرتين من الآية في قوله : (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) فهنا ضميران للمخاطب نتجا عن الالتفات وهما (أنت) المقدرة فاعلاً لفعل الأمر (تَمَتَّعْ) والكاف في (إنَّك). " قال ابن عطية في

---

[٤٣] فتح القدير الجامع بين الرواية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ص ١٢٧٨.

تفسير قوله تعالى : (وإذا مس الإنسان ضرٌ دعا ربه) "الانسان" في هذه الآية يراد به الكافر بدلالة ما وصفه به آخرًا من اتخاذًا الأنداد لله تبارك وتعالى :ولقوله تعالى (تمتع بكفرك) " .[٤٤] " وقوله : (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية " [٤٥].

في الآية التاسعة : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) يبدأ حيث جديد مستأنفًا بأما التفصيلية على تقدير أن (أمَّن) هي مركبة من اختصار ضم من (أمَّا مَنْ) فإذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن النموذج المنكر لنعم الله في حديثه عن الإنسان الكفور أو دائم الإنكار والنسيان فإن القرآن الكريم هنا يتحدث ويتناول النموذج المناقض أو المختلف فيفصّلُ القول عن النموذج القانت من القُنوت وهو" المتعبد المطيع"[٤٦]. فنجد في هذه الآية الضمير كافة التي في الأفعال التي في الجملة وهي ضمائر للمفرد الغائب نجدها تكون كلها على (من) اسم الموصول المفرد في قوله تعالى (أمّنْ هو قانت) والإسناد هنا أو الإحالة في هذه الجملة الاسمية نجد أنه يأتي متباعدًا لأن الخبر يأتي متأخرًا ومقدرًا ومفصولًا بينه وبين المبتدأ بجملة الصلة الطويلة أو المركبة من عدد من الجمل الفعلية التي توضح هذا القانت فهي عدد من الحال والعطف عليه في قوله (ساجدًا وقائمًا).

يستمر الربط بالإحالة عبر الضمير في الآية العاشرة: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) حسب ما نجد في ضمير جمع المخاطبين بعد النداء الموجه للجمع (قل يا عبادِ) والضمير بعدها في (اتقوا ربكم) ثم يختلف الكلام في بقية الآية ويخرج عن شكل المخاطبة المباشرة إلى المطلق بإرساء قاعدة عامة عن المجازاة في قوله تعالى : (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) ويأتي الضمير في آخر الآية حين يكون الحديث عن الصابرين في قوله تعالى (يوفى الصابرون أجرهم)، وهو ضمير جمع الغائبين ، " والمقصود بالصابرون هم الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى وقيل : نزلت في جعفر بن أبي طالب و أصحابه ، حيث لم يتركوا دينهم لمّا اشتد بهم البلاء ، وصبروا و هاجروا " [٤٧] . ليكون قد تحقق في هذه الآية نوعان من الضمير، جمع المخاطب وجمع الغائب، وكلاهما يعود على متقدم ورد في الآية نفسها، أي أنها ربط داخلي لجمل الآية، والآية ترتبط بما قبلها بوسائل ربط أخرى تتصل بالسياق والدلالة.

---

[٤٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، أبو محمد ، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي ، ص ٣٧٦ .

[٤٥] الكشاف ، للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ج ٥، ص ٢٩٢.

[٤٦] لسان العرب، مادة قنت، المرجع السابق ، ص ٧٤.

[٤٧] تفسير البغوي " معالم التنزيل " ، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين البغوي ، ص ١١١.

أما في الآية الحادية عشرة فإن الكلام فيها يكون مسندًا بعد فعل الأمر (قل) إلى المتكلم المفرد ويأتي الضمير رابطًا مرتين، في قوله تعالى : (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) إني ياء المخاطب وهي في محل نصب اسم إنَّ والتاء وهي ترتبط بالمفرد المتكلم كذلك في الفعل (أمرتُ) المبني للمجهول، ومثله الفاعل المقدر في الفعل المضارع (أعبدَ)، فهي كلها تجعل الكلام متصلاً في ارتباطه بالنبيّ صلى الله عليه وسلم حين يوجه الأمر للناس قائلًا لهم بأنه أُمِر بأن يعبد الله مخلصًا له الدين، أي بالعبادة الخالصة أو بالإخلاص " موحداً له " [٤٨] ، وهو الموضوع الأساسي في السورة. لكن ما يهمنا هنا أن ضمير المتكلم المفرد هنا هو الذي يمتد ويربط بين هذه الآية الحادية عشرة وما بعدها في قوله تعالى : (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) وبالطبع واو العطف، لكن الضمير يجعل الكلام مازال متصلًا بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أمر به، فالفعل في قوله تعالى : (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) منسد إلى تاء المتكلم التي تحيل على الضمير نفسه وهو المفرد المتكلم الحاضر في جُمَل الآية السابقة. ويستمر كذلك هذا النسق من أمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول كذا وكذا ويسند الكلام إلى المفرد المتكلم في الآيتين التاليتين ١٣ و١٤ في الجمل الفعلية من الآيتين : (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) في الفعلين أخاف وعصيت، وكذلك في قوله تعالى: (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي) في الفعل أعبد الذي تقدم عليه مفعوله ، " قوله تعالى : (إني أخاف أن عصيت) فعل متعلق بشرط وهو العصيان ، وقد عُلم أنه عليه الصلاة والسلام معصوم منه ، ولكنه خطاب لأمته ، يعمهم حكمه ويخيفهم وعيده " [٤٩] . ويقول الامام الخازن : " ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته و نزاهته ومنصب نبوته إذا كان خائفًا حذرًا من المعاصي فغيره أولى بذلك " [٥٠].

في الآية الخامسة عشرة : (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) ترتبط الجمل عبر ضمير جمع المخاطب في (فاعبدوا) و(ما شئتم)، ثم يحدث تحول إلى الكلام عن الخاسرين بإطلاق وبالغائب فيكون الربط

---

[٤٨] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشافعي البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ص ٣٩ .

[٤٩] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، أبو محمد ، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي ، ص ٣٨٢.

[٥٠] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف : علاء الدين علي محمد البغدادي الشهير بالخازن ، ضبطه وصححه : عبد السلام علي شاهين ، ج٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٣٥.

عبر نوع مختلف من الضمير هو الجمع الغائب فعاد على الخاسرين أو احيل إليها في الفعل (خسروا) لأن الفعل الماضي هنا مسند إلى واو الجماعة للغائب، أي خسروا (هم)، ولذلك جاء الضمير المتصل هم في (أنفسهم) و(أهليهم)، قال الزجاج : " وهذا يعني به الكفار ، فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار ، وخسروا أهليهم ، لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة" [٥١] . ويمتد الحديث عن هؤلاء الخاسرين في الآية التالية ويأتي الربط بالضمير ذاته، جمع الغائب في قوله تعالى : (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) فنجده تكرر ثلاث مرات فيهذه الآية وكان قد حضر مرتين في الآية السابقة ليكون المجموع خمس مرات في الآيتين للضمير نفسه في (لهم) و(فوقهم) و(تحتهم). ثم يحدث التحول إلى أسلوب النداء وصيغة المخاطبة في قوله (يا عبادِ فاتقون)، ولكن سبق ذلك ربط لجملة واحدة بضمير المفرد الغائب في قوله: (ذلك يخوف الله به عباده) وإن كانت الهاء الأولى في (به) تعود على العذاب أو على ذلك العذاب الموصوف فيما سبق من الآية الكريمة، والهاء في عباده هي التي تعود على لفظ الجلالة.

في الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة يحدث تحول في الخطاب القرآني من هذا النموذج الذي حق عليه العذاب من غير المخلصين إلى الحديث عن نموذج المخلصين أو باللفظ القرآني الذين اجتنبوا الطاغوت في قوله تعالى:(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) و(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) هاتان الآيتان متصلتان في الدلالة والمعنى ويعدان وحدة دلالية كبرى مرتبطة ويكشف ذلك امتداد الضمير فيها أو حركته بين جملها، فهؤلاء المخلصون أو الذين اجتنبوا الطاغوت يمتد الحديث القرآني الكريم عنهم بضمير الجمع الغائب ويتضح في أولا في واو الجمع في الفعل (اجتنبوا) أي هم، وكذلك الفعل التالي له (أني يعبدوها) ومثلهما (أنابوا) وفي الآية التالية فعل واحد هو (فيتبعونَ) وكلها ترتبط بالضمير الخاص بجمع الغائب (هم)، ولكن هناك ضمائر أخرى مثل المفرد الغائب للمؤنث في (أن يعبدوها) " وهي العائدة على الطاغوت لأنها تؤنث " [٥٢]، والضمير (ها) هي حسب النحويين تعود على المفرد المؤنث العاقل الغائب أو على جمع المؤنث غير العاقل، فتكون للجمع إذا كان من غير البشر، وهو هنا المتحقق بمعنى أن الطاغوت أنواع من

---

[٥١] إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تح : عبد الجليل عبه شلبي ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ج٤، ص ٣٤٨.

[٥٢] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : أحمد بن يوسف الحلبي ، تح : أحمد محمد الخراط ، ج ٩ ، دار القلم ، دمشق ، ص ٤١٩ .

الأصنام أو المعبودات من غير الله أو أشكال مختلفة من المعبودات من غير الله والأصنام. ويرتبط بهاتين الآيتين عن غير المخلصين الآية التالية رقم تسعة عشر وفيها قول الله تعالي (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ)، وبداية هذه الآية الكريمة ترتبط داخليًا عبر الضمير الذي هو للمفرد الغائب في (عليه) وهي تعود على اسم الموصول (مَن) في أول الآية وهذا الاسم الموصول يعود على (الذين) المتكررة في أول الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة، وترتبط الآية الكريم بمجمل السورة وحال الخطاب كله فيها، عبر ضمير المفرد المخاطب في قوله (أفأنت) فالضمير هنا يرتبط بالمخاطب الأساسي بالحديث القرآني الموجه للنبي صلي الله عليه وسلم، وترتبط (أنتَ) هنا بما سبق في أول السورة بأفعال الأمر قل والضمير المقدر فيها فاعلها بـ(أنت) كذلك). وهذا الاستفهام الاستنكاري في قوله (أفأنت تنقذ من في النار) أقرب للمطرد والمتداول في القرآن الكريم في الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وأن الله سبحانه وتعالى يكلفه بإبلاغ الرسالة فقط، وأن مصائر الناس من الهداية والضلال مقرونة باستجابتهم وأعمالهم وما قدر الله لهم، وتعني (إن عليك إلا البلاغ). ما يهمنا هنا هو عودة الضمير أنت على متقدم مقدر ومعروف ومعهود من السياق وظاهر من بعض الآيات المتقدمة، وهو ما يجعل الحديث القرآني الكريم كله يمضي في سياق واحد مترابط من خلال عودة المخاطب المفرد وهو النبي عليه الصلاة والسلام، " وأظهر الضمير العائد تشهيرًا لهؤلاء القوم ، وإظهارًا لخسة منازلهم كقول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء [٥٣]

وإنما أظهر الضمير تنبيهًا على عظم قدر الموت ، وهذا كثير " [٥٤].

" ولما ذكر الله سبحانه فيما سبق أن لأهل الشقاوة ظللاً من فوقهم النار ، ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم من كان من أهل السعادة" [٥٥] ، في الآية رقم ٢٠ :(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ). يبدأ الحديث مع الاستدراك بـ(لكن) في تفصيل قولي جديد عن المتقين وجزائهم عند الله في الآخرة، أي يكون الحديث عن جمع غائب ولذلك جاءت واو الجماعة مع الضمير (هم) المتكرر في قوله تعالى (اتقوا ربهم لهم) عائدين على الذين التي في أول الآية، على أن اتقوا ربهم ترتبط بجملة الصلة،

---

[٥٣] كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ، المؤلف : محمد محمد حسن شُرَّاب ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٤٥١ ، البيت لعدي بن زيد ، والأصل أن يقال : لا أرى الموت يسبقه شيء ، ولكنه أظهر في مقام الإضمار لفظاعة الموت ورهبته .

[٥٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، أبو محمد ، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي ، ص ٣٨٥ .

[٥٥] فتح القدير الجامع بين الرواية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ص١٢٧٩.

ولهم هي الخبر. فتكون الآية عبر هذه الصور الثلاثة من الضمير قد ارتبطت جملها داخليًا ببعضها، ثم هناك ربط آخر داخل الآية نفسها عبر الضمير الذي يتحدث عن الغرف أو الجنة وذلك في كلمة (تحتها) فالضمير (ها) هنا عائد على (غرف). ثم يكون الربط في بقية الآية عبر تكرار لفظ الجلالة وليس الضمير في هذه المرة.

في الآية الحادية والعشرين نجد حديث المولى عز وجل عن القدرة الإلهية ومعجزات الله وبديع صنعه، في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ). وهي آية طويلة مدار حديثها عن قدرة الله وإنزال الماء من السماء ويسلكه ينابيع، فيكون هنا إسنادان، أحدهما وهو الأول من حيث الترتيب يعود على الله في الجملة الإسمية المنسوخة بأن في قوله تعالي :(ألم تر أن الله) وخبرها الجملة فعلية الأولى (أنزل من السماء ماءً)، ثم تتناسل الجمل الفعلية بعد ذلك في قوله: (فسلكه ينابيع في الأرض) فنجد أن لدينا عددًا من الضمير المرتبطة أو المقدرة للأفعال في (أنزل) و(فسلكه) و(يخرج) و(يجعله) لتعود كلها على (الله) في أول الآية. ثم نجد حركة أخرى للضمير أو مسار مختلف يعود على الماء في ضمير المفرد الغائب في قوله (سلكه) حيث الهاء هنا تعود على الماء ومثلها الهاء في (يخرج به) فالماء هو الذي يخرج به الله زرعًا، أما الهاء التالية في مختلف ألوانه فتعود على الزرع، وكذلك الضمير المقدر في فاعلًا للمضارع (يهيج) والهاء في (يجعله حطامًا) حيث الضمير هنا يعود على الزرع الذي يصبح بعد الاخضرار حطامًا في دلالة على دورة حياتية كاملة من النماء والازدهار إلى الموت دليلاً على قدرة الله وخلقه الذي يمر بأطوار ومراحل تحول. فيكون لدينا هنا حديث أساسي في الآية يقوم الإسناد فيه على لفظ الجلالة في أول الآية وتعود عليه عدد من الضمير في الأفعال التالية، ثم حديث عن الماء الذي ينزله الله من السماء ويسلكه ينابيع ويخرج به الزرع، ثم حديث ثالث عن الزرع الذي يهيج ويصبح بعد ذلك حطامًا، (إن في ذلك لعبرة لأولى الألباب)، وهذه الجملة الختامية في الآية ذات بناء تأسيسي شبه مستقل لكنها ترتبط بما قبلها عبر الإشارة في ذلك. ولكنها تأخذ المعنى التعقيبي أو الختامي لأنها كما لو كانت تختزل الفائدة الدلالية من سرد الإعجاز والقدرة السابقة بأن في كل ما سبق عبرةً لم يتدبر أو يعقل ويستوعب، " بأن الله يُحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها ، ويذكرون به أن الفاعل هو المستحق للعبادة " [٥٦].

ويمكن ملاحظة أن الضمير في هذه السورة تعمل وفق مسارين؛ الأول خاص بربط الجملة والآخر بربط النص، أي أن بعض الضمير يكون دورها في الربط بين أجزاء الجملة، أي داخلي

---

[٥٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير آيات القرآن ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، ص ١٥١٥.

على مستوى الجملة وليس داخلي على مستوى النص، فهو ضمير رابط للجمل، ثم هناك نمط آخر داخلي يربط جملاً بعيدة ببعضها، أي يربط جملًا متباعدة ومتناثرة في النص أو يعود الضمير في إحالته وإشارته إلى ذوات تم ذكرها على مسافة بعيدة داخل النص القرآني .

كما يمكن أيضًا ملاحظة أن الضمير في السورة توزعت بين الأنواع، المفرد المتكلم والمفرد المخاطَب وكلاهما جاء في حق النبي عليه الصلاة والسلام والإحالة عليه والربط به، وضمير جمع الغائبين وجمع المخاطبين وجاء النمطان إما للإحالة إلى الناس جميعًا أو لفئة المشركين أو فئة المخلصين. بما يعني أن النمطين من ضمائر جمع الغائبين أو جمع المخاطبين كانا للإحالة أو الربط بثلاث ذوات أو أنواع من البشر، إما للبشر أو الناس جميعًا وهذا هو النوع الأول، أو الربط والإحالة على فئة منهم هم المشركين، أو ثالثًا الإحالة إلى فئة المتقين أو المخلصين .

ثم ضمير جمع المتحدثين وكان للإحالة على الذوات الثلاثة ولكن بجعلها هي المتحدثة في سياق معين، مثل سياق الاعتراف أو الندم أو أنهم يتحدثون مجادلين و محاجين أو ليبرروا مثلاً لماذا يعبدون شيئًا من دون الله. أي بجعل جمع المتكلمين في حال المتحدث عن النفس أو المتحدث بنفسه .

ثم هناك نمط ضمير المفرد المتكلم وهو إما أن يكون للربط أو الإحالة على (الله) عز وجل أو أن يكون للربط والإحالة على النبي عليه الصلاة والسلام. فالجمع ثابت مع هذه الآيات الثلاثة سواء كان جمع غائب أو جمع مخاطب أو جمع متكلم. والمفرد المتكلم لله وللنبي صلى الله عليه وسلم . هذا ما ربطت و أحالت عليه الضمير من الله والبشر أو العاقلين، ثم هناك ضمائر أحالت على ذوات من غير العاقل أو غير البشر من الأشياء والموجودات، مثل ضمير مفرد الغائب المؤنث أو المذكر، وهي التي كانت تحيل على الأرض أو النور أو الشمس أو القمر أو جهنم أو الجنة إلخ من الموجودات .

فعلينا أن نقسم الذوات التي ربطت الضمير الكلام بها أو أحالت عليها إلى ذوات عليا وذوات دنيا من البشر والملائكة، ثم جمادات أو موجودات ومخلوقات غير عاقلة. الذوات العليا لله وللنبي صلى الله عليه وسلم ، والبشر الآخرين هي الفئات الثلاث المذكورة؛ أولًا البشر أو الناس جميعًا، ثانيًا فئة المؤمنين أو المخلصين (أهل الطاعة والاستجابة)، ثالثًا فئة المشركين أو الكافرين. لتكون كل هذه الذوات قد أضيفت إليها كثير من الجمل أو أسندت إليها المعاني من الأفعال والهيئات والصفات ونسب إليها عبر الضمير دون الحاجة إلى تكرار الاسم، لأن الدأب على ذكر ما مضى وتكراره كثيرًا ليس أمرًا منطقيًا ويصنع تفككًا، فالتكرار كما يمكن أن يكون أداة من أدوات التماسك ربما إن زاد يكون غريبًا وشكلاً من أشكال التفكك. الضمير فيه نوع من الاستناد على ذاكرة

المتلقي، لأنه يجعل منه شريكًا في الربط بين الضمير وما يحيل عليه هذا الضمير. الإحالة نفسها فيها تحريك لذهن المتلقي لأن الإحالة في المطلق هي اكتمال المعنى بالربط بين جزئين أو علامتين، الضمير والاسم السابق الذي يحيل عليه هذا الضمير. "فالقيمة الكبرى للربط عند اللغويين تتمثل بالضمير، ويتجلى ذلك من خلال حديثهم عن جملة الخبر والصلة والصفة والحال، وتأتي بعده الروابط الأخرى، وخصوصًا في جملة الخبر، كالإشارة وإعادة الخبر وحروف العطف و والشرط والإسناد أيضًا" [٥٧].

[٥٧] ليث داود، الربط ودلالته في القرآن الكريم، رسالة علمية، كلية الآداب جامعة البصرة، ٢٠٠١م، ص٥.

الخاتمة :

بعد البحث في الضمير ودورها في التماسك النصي توصلت إلى جملة من النتائج أبرزها على النحو التالي :

١- الترابط النصي أو(التماسك النصي) هو وجود علاقة بين أجزاء النص سواء كانت لفظية أو معنوية .

٢- الترابط النصي نوعان : (ترابط شكلي ، ترابط مفهومي) .

٣- لا يمكن الاستغناء عن أحد من أدوات التماسك النصي (الشكلي أو المفهومي) وكلاهما مكمل للآخر .

٤- للإحالة دور كبير في تماسك النص وربط بعضه ببعض .

٥- الضمير لها دور فعال على تماسك النصوص وربطها مع بعضها البعض ، وكذلك ربطها بالعالم الخارجي .

٦- تسهم الضمير في إزالة اللبس و الغموض .

٧- الربط بالضمير تيسر في الاستعمال وهو بعدم التكرار فيكون أدعى إلى الخفة و الاختصار .

٨- نستطيع من خلال الضمير (المتكلم، والمخاطب ، والغائب) التمييز بينها في الدور الذي تؤديه في الكلام .

٩- تعددت مصطلحات التماسك النصي (الاتساق ، الانسجام ، الترابط ..) ، ولكنه جميعها تدل على دلالة واحدة وهي (التماسك بين عناصرها محققةً البنية الكلية للنص) .

المراجع :

- إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تح : عبد الجليل عبه شلبي ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م .
- التماسك النصي اللغوي في شعر الخنساء ، د. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح ، كلية الآداب والعلوم ، ليبيا ، الناشر : عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٥ م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن أسماعيل النحاس ، اعتنى به الشيخ خالد العلي ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م.
- الازهر الزناد ، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا ، ط١ ، ١٩٩٣م ، الناشر : المركز الثقافي العربي .
- البرهان في تناسب سور القرآن ، للإمام الحافظ / أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي ، تح : د/ سعيد جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٢٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
- سنن الترمذي (الجامع الكبير) ، المؤلف : محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي ، تح: بشار عواد ، الناشر : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٦ م ، ط١ .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : أحمد بن يوسف الحلبي ، تح : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
- الرضي الأستراباذي ، شرح الكافية ،تح: حسن محمد الحفظي ، هجر للطباعة و النشر ،ط١، ١٩٦٦م .
- ا لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري ، تح : الشيخان : عادل أحمد و علي معوض، ط١ ، ١٩٩٨ م . الناشر مكتبة العبيكان .
- الماوردي : النكت والعيون ، أبي الحسن علي محمد الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه ، السيد عبد المقصود البصري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، أبو محمد ، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي ، تح : الرحالة الفاروق ، عبدالله إبرهيم الأنصاري ، السيد عبد العال ، محمد الشافعي الصادق ، وزارة االأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر ، مطابع دار الخير ، ط٢ ، ٢٠٠٧م ،

- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، محمد عبد الباسط عيد ، الناشر : مكتبة الآداب ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشافعي البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ .
- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، عالم الكتب القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.
- تفسير البغوي " معالم التنزيل " ، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين البغوي ، تحقيق وخرج أحاديثه " محمد النمر ، عثمان جمعه ، سليم الحرش " ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، ١٤٠٩هـ .
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف : علاء الدين علي محمد البغدادي الشهير بالخازن ، ضبطه وصححه : عبد السلام علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تح : عبدالله عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة و التوزيع و الاعلان ، ط١ ، القاهرة ٢٠٠١ م .
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، تأليف : محمد جمال الدين القاسمي ، علق عليه :محمد فؤاد عبد الباقي ،ط١ ، ١٩٥٧م.
- تفسير سورة الزمر ، رامي حنفي محمود، ط١ ، ٢٠١٩ م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير آيات القرآن ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، ط١، ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، د/ صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء و النشر و التوزيع (القاهرة) ،ط١ ، ٢٠٠٠م.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، تأليف د / سعيد حسن بحيري ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجان ،بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م ، ط١ ، ص ١٢٢.
- فتح القدير الجامع بين الرواية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اعتنى به وراجعه : يوسف الغوش ، دار المعرفة ،بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف أبي نصر أسماعيل بن حماد الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٧م .
- كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ، المؤلف : محمد محمد حسن شُرَّاب ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصري ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .
- محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، المجلد الثامن، دار الإرشاد، حمص، سوريا، ط٣، ١٩٩٢م،
- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ط ١ ، ١٩٩١م ، المركز الثقافي العربي، (بيروت ، الحمراء) – (الدار البيضاء، الأحباس).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام :برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ت ٨٨٥ هـ ، خرج آياته واحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ج١ ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م .

الرسائل الجامعية :

- سورة الزمر : دراسة أسلوبية ، إعداد : وجدي " محمد درويش " سعيد قطب ، ٢٠١٩ م .
- سورة الزمر ، دراسة بلاغية تحليلية ، إعداد / أسامة أحمد محمد الدسم ، ٢٠٠٥م.
- ليث داود، الربط ودلالته في القرآن، رسالة علمية ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ،٢٠٠١م .

المجلات :

- الإحالة بالضمير ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني ، نائل إسماعيل ، مجلة جامعة الأزهر بغزه ، سلسة العلوم الإنسانية ٢٠١١م ، المجلد(١٣) ، العدد (١) (B).
- سورة الزمر / تقسيم موضوعي، علم التفسير ، ميادة بنت كامل الماضي ، ٢٠٠٦م . (ملتقى أهل التفسير) .
- دور الضمير في تحقيق التماسك النصي في سورة الحج ، أستاذ : حمزة غازي عيسى ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية ، ٢٠١٨ م.

الكتب الأجنبية :

- روبرت دي بو جراند ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط١، ١٩٩٨م ، عالم الكتب، القاهرة .
- هاليدي ورقية حسن، الاتساق في الإنجليزية، ي Cohesion in English– Halliday and Ruqaiya Hasan .